

أخوات بشر الحافى

كان بشر بن الحارث الحافى عابدا زاهدا من عباد بغداد

وكان لبشر ثلاث أخوات

※ مضغة بنت الحارث

كانت أكبر من أخيها بشر ، وكانت صوامة قوامه

يقول بشر الحافى :

- تعلمت الورع من أختى مضغة ، فإنها كانت تجتهد ألا تأكل ما للمخلوق فيه

صنع

※ كما طيبت اسمى لأطيبين اسمك

تقول مضغة بنت الحارث :

قال لى أختى بشر :

- أحدثك عن بُدُوِّ أمرى - أول هدايتى وتسلى الإيمان إلى قلبى - ؟

قلت :

- نعم

قال :

بينما أنا أمشى رأيت قرطاسا على وجه الأرض فيه اسم الله تعالى ، فنزلت إلى

النهر فغسلته وكنت لا أملك من الدنيا إلا درهما فيه خمسة دنانق - الدانق : سدس

درهم - فاشتريت بأربعة دنانق مسكا وبدانق ماء ورد ، وجعلت أتتبع اسم الله تعالى

وأطيبه

ثم رجعت إلى منزلى فنمت فأتانى آت فى منامى فقال :

- يا بشر : كما طيبت اسمى لأطيين اسمك ، وكما طهرته لأطهرن قلبك

* محال أن تكون هذه المرأة إلا أخت بشر الحافى

يقول عبد الله بن أحمد بن حنبل :

كنت مع أبى يوما من الأيام فى المنزل فدق داق الباب

فقال لى أبى :

- اخرج فانظر من بالباب ؟

فخرجت فإذا امرأة فقالت لى :

- استأذن لى على أبى عبد الله

فاستأذنته

فقال :

- أدخلها

فدخلت فسلمت عليه وقالت له :

- يا أبا عبد الله : أنا امرأة أغزل بالليل فى السراج وربما طفئ السراج فأغزل على

ضوء القمر ، فهل على أن أبين غزل القمر من غزل السراج ؟

قال أحمد بن حنبل :

- إن كان عندك بينهما فرق - من حيث الجودة - فعليك أن تبينى ذلك

قالت مضغة بنت الحارث :

- يا أبا عبد الله : أنين المريض شكوى ؟

قال أحمد بن حنبل :

- إنى لأرجو أن لا يكون شكوى ، ولكن هو اشتكاء إلى الله تعالى

ثم انصرفت

يقول عبد الله بن أحمد بن حنبل :

فقال لى أبى :

- يا بنى : ما سمعت إنسانا يسأل عن مثل ما سألت هذه المرأة ، اتبعها يقول عبد

الله بن أحمد بن حنبل :

فتبعتها إلى أن دخلت دار بشر الحافى ، فعرفت أنها أخت بشر من الحارث

فأتيت أبى وقلت له :

- إن المرأة أخت بشر الحافى

فقال أحمد بن حنبل :

- هذا والله هو الصحيح ، محال أن تكون مثل هذه إلا أخت بشر الحافى

✽ وفاة مضغة بنت الحارث

ماتت مضغة بنت الحارث قبل أخيها بشر

وقيل :

لما ماتت مضغة توجع عليها بشر توجعا شديدا وبكى بكاء كثيرا

فقيل له فى ذلك فقال :

قرأت فى بعض الكتب أن العبد إذا قصر فى خدمة ربه سلبه أنيسه ، ومضغة كانت

أنيسى من الدنيا

✽ مخعة بنت الحارث

تقول مخعة بنت الحارث :

تخرق إزار بشر فقلت له :

- يا أخى : قد تخرق إزارك وهذا البرد فلو جئت بقطن حتى أغزل لك

فكان يجىء بالأسطارين - بالأسطارين فى الوزن أربعة مثاقيل ونصف - والثلاثة

فقلت مخة بنت الحارث لأخيها بشر :

- يا أخى الغزل قد اجتمع أفلا تسلم إزارك ؟

قال بشر الخافى :

- هاتيه

تقول مخة بنت الحارث :

فأخرجته إليه فوزنه فأخرج ألواحاه وجعل يحسب الأساتير

فلما رآها قد زادت فيه قال لى :

- كما أفسدته فخذيه

✽ حتى يعوضك الله خيراً منه

ذات ضحى جاءت مخة بنت الحارث إلى أحمد بن حنبل فقالت :

- إنى امرأة رأس مالى دانقان ، أشتري القطن فأغزله وأبيعه بنصف درهم - ثلاثة

دوانق - فأتقوت بدانق من الجمعة - أسبوع - ، فمر ابن طاهر الطائف ومعه مشعل ،

فوقف يكلم أصحاب المسالحي - بفتح الميم وهم الجماعة والقوم ذوو السلاح -

فاستغنمت ضوء المشعل فغرلت طاقات ، ثم غاب عني المشعل ، فعلمت أن لله فى

مطالبة ، فخلصنى خلصك الله .

فقال أحمد بن حنبل :

- تخرجين الدانقين ثم تبقيين بلا رأس مال حتى يعوضك الله خيراً منه

فقال عبد الله بن أحمد بن حنبل لأبيه :

- يا أبه : لو قلت لها : لو أخرجت الغزل الذى أدرجت فيه الطاقات ؟

قال أحمد بن حنبل :

- يا بنى : سؤالها لا يحتمل التأويل

ثم تساءل أحمد بن حنبل :

- من هذه ؟

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل :

- هذه مخة أخت بشر بن الحارث

فقال أحمد بن حنبل :

- من هاهنا أتيت

لقد كانت مخة بنت الحارث تقصد الإمام أحمد بن حنبل وتسأله عن الورع والتقشف ، وكان الإمام يعجب بمسائلها

※ زبدة بنت الحارث

تقول زبدة :

جاء رجل إلى أخى بشر فسأله عن مسألة ، فأطرق بشر مليا ثم رفع رأسه ، ثم أطرق ، ثم رفع رأسه وقال :

اللهم إنك تعلم أنى أخاف أن أتكلم

اللهم إنك تعلم أنى أخاف أن أسكت

اللهم إنك تعلم أنى أخاف أن تأخذنى فيما بين السكوت والكلام

※ اسمى بشر

تقول زبدة :

ذات ليلة جاء بشر بن الحارث إلى دارى فوضع إحدى رجله داخل الدار والأخرى خارج الدار ، وبقي كذلك يتفكر حتى أصبح ، فلما أصبح سأله :

- فى ماذا تفكر طوال الليلة يا أبا نصر ؟

قال بشر الحافى :

- تفكرت فى بشر النصرانى ، وبشر اليهودى ، وبشر المجوسى ، واسمى بشر
فقلت :

- ما الذى سبق منك حتى خصك ؟

قال أبو نصر :

- فتفكرت فى تفضله على أن جعلنى من خاصته وألبسنى لباس أحبائه

❖ يا بشر ببركة مائك أسلم الطبيب

لما مرض بشر الحافى مرضه الذى مات فيه اجتمعت إليه مخة وزبدة و.. وقلت له :

- نريد أن نحمل ماءك - ماء بوله - إلى الطبيب

فقال أبو نصر :

- أنا بعين الطبيب يفعل بى ما يريد

قالت زيدة :

- إن فلانا النصرانى طبيب جيد ولا بد أن نحمل إليه ماؤك

قال بشر الحافى :

- دعونى فالطبيب أمرضنى

قالت زيدة ومخة :

- لا بد من ذلك

قال بشر بن الحارث لأخته زيدة :

- إذا كان فى الغد ادفعى إليهم الماء

فلما أصبحوا أتوها فدفعت زيدة إليهم الماء، فمضوا به إلى الطبيب فنظر إليهم وقال :

- ضعوه

فوضعه ، ثم قال :

- حركوه

فحركوه

حتى فعلوا ذلك ثلاثا ، فقال أحد القوم :

- ما هكذا أخبرنا عنك

فتساءل الطبيب :

- وما الذى أخبرتم به عنى ؟

قال :

- أخبرنا عنك بحسن النظر وسرعة الإدراك ، وجودة المعافاة ، ونراك تردد النظر ،

وذلك يدل على قلة المعرفة

فقال الطبيب :

- والله لقد علمت حاله من نظرة ، ولكننى رددت النظر تعجبا ، وبعد فإن يكن

هذا ماء نصرانى فهو ماء راهب قد فتت الخوف من الله كبده ، وإن يكن ماء مسلم

فهو ماء بشر الخافى ، وليس عندى له دواء ، فعللوه فإنه ميت

فقالوا للطبيب :

- هو والله ماء بشر الخافى

فلما سمع الطبيب ذلك أخذ مقراضا - مشرط - وقطع زناره - حزام كان يشده

النصرانى والمجوسى على وسطه - وقال :

- أشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله

فانطلقوا إلى بشر الخافى ليبشروه ، وقبل أن ينطقوا بحرف واحد قال أبو نصر :

- أسلم الطبيب ؟

فقالوا فى عجب :

- نعم فمن أخبرك ؟

قال بشر الحافى :

- لما خرجتم من عندى أخذتنى سنة وإذا بهاتف يقول :

يا بشر : ببركة مائك أسلم الطبيب

ولم يلبث بشر الحافى بعد ذلك إلا ساعة . . ومات

من أقوال زبدة بنت الحارث :

* قالت زبدة بنت الحارث :

أثقل شىء على العبد الذنوب

وأخفه عليه التوبة

فما له يدفع أثقل شىء بأخف شىء ؟